SSN: 2090 - 0449

ملخص

كانت فكرة الإدارة الفرنسية أن الشعب الجزائري يتكون في أساسه من مجموعات بشرية تنتمي إلى أعراق مختلفة، وبالتالي يجب النظر إليه لا على أنه شعب واحد ذو أصول بشربة متجانسة استمدت تلاحمها من تفاعل حضاري يضرب بجذوره في أعماق التاربخ ويستند في هذا التلاحم إلى المقوّم الإسلامي لغة ودينًا. بل يجب نفي كل ذلك واعتبار الجزائر تكوبنًا جغرافيًا مصطنعًا يتميز باختلاف العناصر وانعدام العامل الموحد، وبالتالي تصبح الإدارة الفرنسية وما تحمله من ثقافة واقتصاد العامل المشترك، وهذا ما يجعل التوجه الفرنكوفوني يتحكم في تصورات المستقبل. ومن خلال هذه النظرة يجب إبعاد التوجه الإسلامي ونفي الهوية العربية عن الشعب الجزائري، وقد أُختيرت بعض المناطق لاتخاذها حقلاً للتجارب، وميدانًا لتطبيق السياسة الطائفية، وذلك للحيلولة دون استعادة الجزائر وحدتها الحضاربة. وقد تفتقت عبقربة الإدارة الفرنسية عن اختيار بعض المناطق الجزائرية ذات الكثافة البشرية المرتفعة، أو ذات الموقع الإستراتيجي المتحكم في المواصلات، مثل مناطق بلاد القبائل والأوراس ووسط الصحراء (ميزاب والهقار).

يتناول هذا المقال المراكز الثقافية في منطقة الأوراس خلال الفترة (١٩٥٤ - ١٩٥٤) حيث تنبه أهالي تلك المنطقة إلى خطة العمل الاستعمارية، وعرف رجال الزوايا والطرق بها ما يراد لهم وما يخطط لمستقبل أبنائهم، فأعلنوها في وجه الفرنسيين مُقاومة إسلامية وانتفاضة وطنية.

مُقدمة

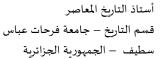
لقد استطاعت الآلة الاستعمارية المدمرة التي تعرضت لها الجزائر لاثنتين وثلاثين ومائة سنة أن توقف - لفترة معيَّنة - نمو المجتمع الجزائري المتكامل في إطاره الحضاري العربي الإسلامي. ولولا رد فعل الشعب الجزائري المتمثل في الحركة الوطنية والثورة التحررية، لما أمكن الوقوف أمام آليات الاستعمار ووسائله المدمرة، والحد من آثارها وانعكاساتها السلبية على الهوبة الوطنية والانتماء الحضاري للجزائر.(١)

بعد احتلال قسنطينة سنة ١٨٣٧، عمل المستعمر الفرنسي على احتلال منطقة الجنوب الشرقي ومنها الأوراس التي اعتصم بها أحمد باي، فقرروا دخولها بجيش كبير قاده جنرالات وعقداء، كان على رأسهم 'Bedeau 'والعقيد ماكمهون ' Mac-Mahon '، حيث تم احتلال المنطقة بعد استسلام أحمد باي سنة ١٨٤٨، ولم يتوان السكان فيها مناهضة المخططات الاستعمارية لاسيما الثقافية، بصلابة منذ نزول المحتل أرض الأوراس، ويمكن أن نستحضر الصور المعبرة عن البطولات والأمجاد في التصدي للفرنسيين، فقد كان نفورهم واشمئزازهم من الأجنبي يزداد تبعًا لتزايد السياسة الاستبدادية الاستعمارية، عبر عنها حمدان خوجة بقوله:(١) "تلك الأفكار السوداء التي كونها عن الطبع الفرنسي، والتي لم يكن يعرفها من قبل، وهي من سوء الحظ، تزداد تفشيًا في أعماق قلوب



المراكز الثقافية في منطقة الاوراس (1901 - 101)" قراءة تحليلية في الفعل الثقافي والفعل السياسي

د. سفيان لوصيف



الاستشماد الورجعي بالوقال:

ISSN: 2090 - 0449

سفيان لوصيف، المراكز الثقافية في منطقة الأوراس (١٨٤٨ – ١٩٥٤): قراءة تحليلية في الفعل الثقافي والفعل السياسي.- دورية كان التاريخية.- العدد الخامس عشر؛ مارس ٢٠١٢. ص ٣٣ - ٣٩.

www.kanhistorique.org

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ – ٢٠١٢

الأهالي"، ويرى حمدان خوجة أن الغل المكتسب يعود إلى عوامل نحصرها في:

- كون الجزائريين ومنهم سكان الأوراس يعتبرون أن الفرنسيين لا يقاومون إلا بالتعصب الديني.
- الشعور بالاعتداء من قبل أمة أجنبية، استعملت القوة والتحايل.
 - خشية المآل إلى الفاقة نتيجة اغتصاب أملاكهم.^(٣)

وإذا كان الفرنسيون ملكوا الأرض وألحقوها بفرنسا، فإنهم لم يملكوا العقول والقلوب التي ظلت تمتلئ حقدًا، وتبحث عن فرصة للانتقام، فانتصارهم العسكري لا يعني إخضاع النفوس، وفشلوا في تحويل شعور الجزائريين إلى فرنسي مسيحي يكون مساويًا لهويتهم وثقافتهم، رد فعل على هذه السياسة كان حاسمًا في شكل صراع "بدأ يوم بدأ المحتل يفرض لسانه، وتفكيره، وأسلوبه في الحياة، مستعملاً المدرسة، والمستشفى، المعلم والطبيب"، لقد كانت مرحلة الاحتلال محل مجابهة بين الطرفين، ينشئ المستعمر مدارس فلا يتردد عليها التلاميذ، يقيم المستشفيات فلا يتردد عليها المرضى، فوجد صعوبات جمة في ذلك، (أله لقد كان الجهل وراء مغامرة خاضها الفرنسيون، حيث أنهم لم يدركو من قبل حسابًا ما لهذا الشعب من تراكم حضاري عربق، وراحوا يفسرون فشلهم الذريع بعدم معرفتهم بالجغرافيا والمناخ. (٥)

الزوايا والطرق الدينية

نزل جماعة من الآباء البيض في آريس وتمركزوا فها وشيدوا مقرا يحتوي على مسكن وكنسية للتعليم ثم أنشئوا فرعًا بالمنطقة ويعرف إلى الآن باسم ضيعة الماربو، ولم ينجحوا في مهمتهم وباعوا مقرهم بآريس إلى السلطة المدنية وحول إلى مقر الدائرة حاليًا وانسحبوا سنة ١٩١٨ بعد بيع ضيعتهم في المزاد العلني سنة وانسحبوا سنة ١٩١٨. بعد بيع ضيعتهم في المزاد العلني سنة الأولى التي هي حسب الباحثة الفرنسية "Turin" تزعمتها الزوايا الأولى التي هي حسب الباحثة الفرنسية المعركة، من خلال حشد والطرق الدينية التي لعبت دورًا أساسيًا في المعركة، من خلال حشد الجزائريين حولها، وساهمت في تعليمهم وتثقيفهم، وتأليبهم ضد المدارس الفرنسية كي يرفضوا ارتيادها، فلما حاول الفرنسيون إيجاد إجابة عن عوامل عزوف أبناء الأهالي دخول مدارسهم قالوا أن: (١) «المدرسين المكلفين بتعليم الأطفال كانوا متعصبين وجهلة، وعندهم كانت تظهر معارضة لوجهات نظرنا... وتكمن خطورة مقاومتهم لنا في أنهم يشرفون على تربية جيل جديد، ومن هنا يجب مقاومتهم لنا في أنهم يشرفون على تربية جيل جديد، ومن هنا يجب أن يخضع كل المدرسين لرقابة شديدة».

لقد انتشرت في مناطق الأوراس المترامية الأطراف عدة زوايا تتبع طرق صوفية مختلفة، فأصبحت قطبًا للحياة الدينية ومراكز ثقافية تعليمية مهمة، وقيادية تنطلق منها التوجهات والأوامر للمريدين، نذكر منها على سبيل المثال:

• الطريقة الرحمانية:

تنتسب إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري الزواوي الجرجري المتوفي سنة ١٧٩٣م، حيث امتدت طريقته إلى منطقة الشرق الجزائري وتونس، مرورًا بمنطقة الأوراس حيث كثر أتباعها، وقعددت مراكزها، خلال العهد الاستعماري وكان لها دورًا إيجابيًا، أنشأ الشيخ الطاهر بن الصادق بن الحاج زاوية رحمانية في جبل أحمر خدو بالأوراس، وهي التي تخرج منها محمد بن عبد الرحمن في ثورة الأوراس عام ١٩٨٩، وفي سنة ١٩٠٦ وصل عدد الإخوان الرحمانيين في زاوية أحمر بن خدو إلى ألفين تضمهم ثلاث زوايا. (٨) وظهر فرع آخر بالأوراس، على يد الشيخ الهاشعي بن علي دردور، وهو من عرش أولاد عبدي، تتلمذ في زاوية الخنقة الرحمانية، وأصبح مقدمًا لها بمدونة ونواحها، ونتيجة لوقوفه ضد الاحتلال عوقب بالنفي إلى كورسيكا عام ١٨٨٨.

• الطريقة القادرية:

تعود في أصلها إلى العالم المتصوف عبد القادر الجيلاني المتوفي في بغداد سنة ١٦٦٦م، وهي قاعدة الطرق الصوفية التي جاءت من بعد، وأخذت في الانتشار على يد شعيب بومدين الذي أسس مدرسة التصوف السني في المغرب والأندلس، وفي القرن ١٩م كان شيخ القادرية الحاج معي الدين والد الأمير عبد القادر في منطقة معسكر ونواعي الغرب الجزائري، وقد تفرق القادرية إلى قيادات صغيرة في مختلف مناطق الوطن، منها زاوية تبسة، وزاوية منعة بالأوراس المعروفة بزاوية بالعباس.

• الزوايا ذات النظام الداخلى:

تتكفل بمهمة إيواء وإطعام الطلبة الذين يفيدون من مناطق بعيدة، وهي تعفيهم من نفقات التعليم ومن هذه الزوايا:

- زاوية الشيخ الصادق بن الحاج في تبرمسين بالجنوب الشرقي من جبل أحمر خدو.
 - زاوية الشيخ أحمد بن الصادق في غوفي عرش غسيرة.
- زاوية الشيخ المكي بن تازرولت في الدشرة الحمراء قرب آريس عرش أولاد داود.
 - زاوية الشيخ علي دردور الكبير في حيدوس وادي عبدي.
 - زاوية الشيخ محمد بن بلقاسم في ثنية العابد وادي عبدي.
 - زاوية الشيخ بن عباس في منعة وادي عبدي.

• الزوايا ذات النظام الخارجي:

تتكفل بالطلبة الأقارب في السكن والأقارب من السكن والمسافة يحضرون إليها في أوقات التعليم والدراسة، وهذه الزوايا

- زاوية الشيخ عبد السلام في تكوت عرش بني بو سليمان.
- زاوية الشيخ عمر بن عبد السلام في القصر قرب تكوت.
 - زاوبة الشيخ فتح الله في وادى الشرفاء عرش كميل.
- زاوية الشيخ محمد بن عزة قرب آريس عرش أولاد داود.
 - زاوية الشيخ بنبوبيش في وادى الأحمر.



مدراس الشيطان

والجدير بالذكر؛ أن المدارس التي أنشأها الفرنسيون عدت عند الأهالي مدارس الكافر وسموها مدارس الشيطان وبأسماء لعينة، فازداد السكان صمودًا وتهافتا على ثقافتهم العربية الإسلامية، وإلى عدر كبير هناك توافق بين موقف "Turin" و"Colonna" حول رفضهم للثقافة الفرنسية، تقول "Colonna" أن عدد الجزائريين الذين دخلوا المدارس الفرنسية كان في تقلص بنسب ملحوظة، (١٤) ولاحظت أن المراكز التي يكثر بها عدد الزوايا والمؤسسات التعليمية الحرة، يقل فها إقبال الأهالي على التعليم الفرنسي، ولم تقتصر المقاومة في التعليم فقط بقدر ما أنها اتخذت أشكالا مختلفة فمنهم من عبر عنها بالسلاح من مقاومة أحمد باي حتى ثورة الأوراس وثورة ما يعرف بالمقاومة السلبية خاصة في الأرباف حيث قاطع السكان ما يعرف بالمقاومة السلبية خاصة في الأرباف حيث قاطع السكان ثقافة فرنسا واعتبروها كفرًا بسيئاتها وحسناتها دون تراجع في مواقفهم منها التي أصبحت مسلمة بها عندهم. (١٥)

المقاومة والمقاطعة التي أبداها الأهالي، لا يمكن القول من خلالها أن الثقافة الجزائرية بقيت بعيدة عن تأثير ثقافة العدو، لأنها مع مرور الوقت أصابتها صدمة الاحتلال التي ما فتئت تتطور، حتى أصابتها في صميمها، فإن لم تمت فإنها توقفت عن النماء لاسيما بعد خصوبتها وانتعاشها في عهد سابق، فبعد سبعين سنة من الاحتلال حدث الجفاف الثقافي والقطيعة التي حاول الاستعمار فرضها على التراث الإسلامي، ويمكن إضافة التدهور الاقتصادي وسوء الحالة الاجتماعية جعلا منحنى الثقافة يشهد التراجع، وهكذا بدأت المقاومة الصامتة والعلنية التي تبناها الأوراسيون تضعف، فالذين كانوا يرفضون في السابق إرسال أبنائهم إلى المدارس نلاحظ أن هذا الرفض بدأ يتضاءل. (١٦)

مدارس الأوراس

ولهدنه الأسباب وغيرها شرع الأعيان في رفع عرائض واحتجاجات، تدعوا إلى التعليم حتى وإن كان فرنسيا مادام أن الهدف هو محاربة الجهل الذي استفحل أمره، ومع ظهور بوادر الهدف هو محاربة الجهل الذي استفحل أمره، ومع ظهور بوادر وأولت ميدان التعليم العناية الفائقة، فقد ظهرت خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى بقليل مدارس عدة في منطقة الأوراس وتخومها، نشير منها على سبيل المثال إلى المدرسة الصديقية التي تأسست سنة ١٩١٣ في منطقة تبسة وكانت أول مدرسة عصرية حرة تشرف علها الجمعية الصديقية الخيرية والتعليم العربي والإصلاح الاجتماعي، ترأسها عباس بن حمانة، وقد تحدث عنها محمد على دبوز، كانت كما ذكر تقع في أربعة طوابق تبرع بها للجمعية الحاج بكير المرموري، وكانت للمدرسة مكتبة وصيدلية، واتبعت في برنامج التعليم منهاجًا حديثًا عهتم ويولي العناية بالتربية واتبعت في برنامج التعليم منهاجًا حديثًا عهتم ويولي العناية بالتربية الإسلامية والقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي، لكن السلطات

وغيرها من الطرق الصوفية، وقد كان لها دورًا كبيرًا في التعليم، وكذا في مواجهة المبشرين والآباء البيض الذين نزلوا بآريس وضواحها بعد استيلاء الفرنسيين على الأوراس، وهو المقاطعة التامة حتى اضطروا إلى الرحيل في النهاية، لكن لسيت كل الطرق الصوفية والزوايا سارت في منحى واحدًا، بل كان البعض منها قد ساير المحتل ووقفت إلى جنبه ضد الأهالي.

ومن أمثلة التعاون الوثيق بين شيوخ بعض الزوايا والفرنسيين، والتأثير الكبير لهؤلاء على عامة السكان في المنطقة هو ما حصل في ثورة الأوراس سنة ١٩١٦ التي قام بها سكان عين توتة ضد سلطات الاحتلال، فلم تجد إدارة الاحتلال من وسيلة - لاسيما وأن الفترة هي الحرب العالمية الأولى- سوى رجال الطرق الصوفية السائرين في فلكها والراضخين لإدارة الاحتلال، الذين نجحوا إلى حد كبير في أداء مهامهم فهدءوا نفوس الناس الثائرة يقول الشيخ محمد خير الدين: "خرجوا بأعلامهم وطبولهم يدعون إلى إيقاف القتال ضد فرنسا، فاستجاب الثوار وتوقفت الحرب، وما كان للفرنسيين أن يتمكنوا من إخماد هذه الثورة إلا بمساعدة الطرقيين الذين وقفوا إلى جانب المستعمرين واستجابوا لرغباتهم". (١٠)

قام المستعمر بتخريب مقرات الزوايا وتدميرها، وإلقاء القبض على رجالها وتعذيبهم في سجن قسنطينة والحراش، وأبعد بعضهم من المنطقة كما نفى بعضهم خارج الجزائر مثل الشيخ الصادق بلحاج إلى جزيرة سانت مارغريت، والشيخ الهاشمي دردور إلى كورسيكا ومحمد مزبان إلى كيان بالمحيط الأطلسي، والشيخ محمد بن سي أحمد أحمر خذو إلى كيان رفقة جماعة بعضهم رجعوا وبعضهم استقر هناك، (۱۱) وهذا خوفًا من انتشار التعليم في وسط الشعب حتى يسود الجهل، فقد جاء في أحد التقارير: «إن هؤلاء القوم الذين يطلق عليهم الطلبة المختلطين بكل عمق بحياة الأعراش والقبائل والعائلات كانوا يعلمون للصغار ما تعلموه هم في مدة سنوات عديدة بتونس وفاس، وفي زوايا بلاد القبائل أو الأوراس ويتعلق الأمر بقراءة وكتابة القرآن... وفي الأعراش الرحل كان لكل دوار خيمة كمدرسة ...». (۱۲)

كان هناك صراعًا حادًا بين شيوخ جمعية العلماء المسلمين الهادفين صفاء العقيدة ونقائها ورجال الطرق الصوفية الباحثين توسيع نفوذهم وحماية سلطانهم، فغذت إدارة الاحتلال النزاع بمساندتها الفئة الثانية، إذ عملت على غلق المدارس القرآنية والكتاتيب التي أنشأتها الجمعية، وفي نفس الوقت عمدت إلى إنشاء جمعيات دينية مختلفة مثل التي تم إنشاؤها في تبسة باسم الجمعية الدينية الإسلامية ووضعت على رأسها معمر فرنسي يدير شؤونها ويوجه أهدافها ويبث الدعاية في نفوس الناس ومن جملة ما تدعو إليه: «أن العلماء المصلحين ينكرون وجود الأولياء وقد جاؤوا بدين جديد، ومنذ ظهور الدعوة الإصلاحية انقطعت البركة وأمسك بدين جديد، ومن دون شك أن لهذا الكلام أثر في نفوس الجهلة وعامة الناس. (١٣)

الاستعمارية كانت لها بالمرصاد حيث أغلقتها وحلت الجمعية وسجن بن حمانة ثم اغتيل في ١٦ جوبلية ١٩١٤. (١٧٠)

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

والجدير بالذكر؛ أن فترة العشرينات من القرن العشرين هي بداية مرحلة جديدة من المقاومة الثقافية، فبعد صمود الزوايا والمساجد، ظهرت مرحلة جديدة قادتها كما أشرنا النخبتين العربية والفرنسية، فالأولى قادها العلماء المسلمين الذين هيكلوا أنفسهم ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست عقب احتفالات ذكرى مرور قرن من الاحتلال الفرنسي للجزائر، يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٠٠): "من المعلوم أن الأمة الجزائرية هبت بعد مرور قرن من الاحتلال لتأخذ قسطًا من الحياة، من نواحي عديدة، وخصوصًا الناحية الدينية والعلمية"، ويمكن القول أن الجمعية ركزت على الأهداف التالية:

- إصلاح عقيدة الشعب الجزائري، وتنقيتها من الخرافات والبدع، وتطهيرها من مظاهر التخاذل والتواكل التي تغذيها الطرق الصوفية المنحرفة.
- محاربة الجهل بتثقيف العقول والرجوع بها إلى القرآن والسنة،
 عن طريق التربية والتعليم.
- المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، بمقاومة سياسة التنصير والفرنسة التي تتبعها سلطات الاحتلال.

كان للحركة الإصلاحية في منطقة الأوراس دورًا هامًا في النشاط السياسي منها التوجيه والتأثير في انتخابات كبار الجماعة في كل دوار، وانتخابات جمعيات الفلاحين عن طريق اختيار المترشحين لهذه المجالس والجمعيات الفلاحية، ومن الأعمال الهامة التي قامت بها الجمعيات تأسيس لجان لإصلاح ذات البين، فأدت هذه الطريقة إلى هجر المحاكم الفرنسية وتعطيلها، وذلك بعد أن كانت تمتص أموال المواطنين، والتماطل في البت في القضايا المتنازع في حكم التأجيل.

كان للحركة الإصلاحية صوت قويًا عبر الوطن حتى بلغ صداه منطقة الأوراس، فتحمس الشعب لذلك، ويعود ذلك إلى الأعمال التي كانت تقوم بها جمعية العلماء من التعليم في المدارس وإلقاء المحاضرات والدروس في المساجد الحرة. وبسبب هذا التأثير غادر الأوراس طلاب متوجهين إلى الجامع الأخضر والبعض إلى جامع الزيتونة بتونس هدفهم كسب العلم وطريقة التوجيه والإصلاح المثلى، فالجدول التالي يبين بالاسم الكامل لهؤلاء الطلاب المتكونين في هذه المراكز العلمية وكلهم من آريس وضواحها، (۱۹۱۱) أدركت جمعية العلماء أهمية التربية والتعليم في تحقيق مقاصدها العقيدية والفكرية، فركزت على التعليم الإسلامي العربي، وإنشاء المدارس، وحث الأمة وتشجيعها على إرسال أبنائها إلى مدارسها، بغية تعليم وتثقيف أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته.

وهكذا؛ أدرك سكان الأوراس أهمية التعليم كأساس ثقافي وعامل ارتقاء حضاري، الأمر الذي عجل باستيقاظهم في مناطق الأوراس كلها من غفوة الأمية والجهل، والتحقوا بالمدارس لاسيما أن جمعية العلماء أدركت أهمية التربية والتعليم في تحقيق مقاصدها العقيدية والفكرية، فركزت على التعليم الإسلامي العربي وإنشاء المدارس، وحث الأمة وتشجيعها على إرسال أبنائها إلى مدارسها، بغية تعليم وتثقيف أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، ونلخص إلى ذلك من خلال الجدول الذي يبين عدد المتمدرسين من منطقة الأوراس في شهادة التعليم الابتدائي العربي سنة ١٩٥٤.

المركز	عدد المشاركون	الناجحون	
باتنة	00	٤١	
تبسة، عين البيضاء	YA	١٨	

هذه النتائج احتلت منطقة باتنة المركز الأول في عدد المترشحين، والمرتبة الثانية من حيث نسبة النجاح بعد منطقة تلمسان، ثم في سنة ١٩٥٥ حققت المنطقة النتائج التالية:(٢١)

د . ملاحظة	م.حسن	م. جيد	الناجحون	المركز
11	٠٩	٠٦	٣٤	تبسة
70	٠٩.	٠٣	٣٧	باتنة

الشعبة الأوراسية الإصلاحية

الحركة الإصلاحية بحملها فكرة التجديد وتصفية الدين من البدع وإحياء القيم ونشر التعليم، وضعت قواعد وأسسًا لنشرها وكونت رجالاً ضمنوا مواصلة المسيرة التي تبعث الهوض الديني والإصلاحي، وتنعي الروح الوطنية للشعب، وذلك بالمطالبة بحقوقه الدينية والاجتماعية والسياسية، ظهر نشاط الحركة الإصلاحية بحوز آريس في سنة ١٩٣٦ وازدهر سنة ١٩٣٧، وفي شهر أوت ١٩٣٧ تأسست الشعبة الأوراسية الإصلاحية، باسم جمعية العلماء بحيدوس بدوار عبدي من طرف بعض خريجي الجامع الأخضر، وهم من المنطقة وأغلبهم زاول التعليم لدى الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأعضاء الشعبة:

- عمر دردور: المعتمد من طرف جمعية العلماء للقيام بالحركة الإصلاحية
 - الأمير صالحي: من آريس.
 - محمد يكن: المعروف بالغسيري من غوفي.
 - أحمد تيملقين: المعروف بالسرحاني من كميل.
 - محمد الصالح زموري: من حيدوس.
 - عبد الواحد واحدي: من ثنية العابد
 - أحمد جلولي: من بوزينة

بعد تكوين الشعبة الأوراسية تقرر أن تكون في كل دوار شعبة محلية وتركيها كالتالي: رئيس الشعبة، نائبه، كاتب وأمين المال، ستة أعضاء مستشارين وأعضاء عاملون وتكونت تسعة شعب مهمتها تكوين الجمعيات الدينية في الدواوير، تكونت جمعية دينية في كل دوار، من أشخاص يؤمنون بمبادئ جمعية العلماء مهمتها كالتالى:

- بناء المساجد الحرة وإصلاحها وتجهيزها وتعيين الأئمة الأحرار.
- فتح الكتاتيب القرآنية، تشييد المدارس الحرة للتعليم الابتدائي.
 - تأسيس النوادی.
- تعيين المكلفين بالدروس العلمية، والتكفل بتسديد أجور المعلمين.

الجمعيات التي تأسست بقوانينها وهيآتها:

- الجمعية الدينية الإسلامية: بوادي عبدي مقرها حيدوس.
- الجمعية الدينية الإصلاحية: بدوار بوزوبنة مقرها أم الرخاء.
 - الجمعية الإسلامية: بدوار غسيرة مقرها غسيرة.
 - الجمعية الدينية الإسلامية: بدوار زلاطو مقرها اينوغيسن.
- الجمعية الدينية الإصلاحية: بدوار وادي الأبيض مقرها آريس.
 - الجمعية الدينية الإصلاحية: بدوار منعة مقرها منعة.
 - الجمعية الدينية الإسلامية: بدوار شير مقرها مدرونة.
 - الجمعية الدينية الإصلاحية: بدوار مشونش.
- الجمعية الدينية الإصلاحية: بدوار وادى الطاقة مقرها بوحمار.
 - الجمعية الدينية الثانية: بدوار زلاطو مقرها تكوت.

المدراس الحرة، تأسست مدارس عدة منها:

مدرسة حيدوس - مدرسة أم الرخاء - مدرسة منعة - مدرسة بوزينة - مدرسة النوادر - مدرسة آريس - مدرسة غوفي - مدرسة تيفلفال - مدرسة مشونش - مدرسة تكوت - مدرسة اينوغيسن- كميل - مدرسة شير - مدرسة اشمول.

تأسيس النوادي الثقافية

بعد تأسيس المدارس لتعليم النشء الجديد وتنظيم الحلقات الدراسية في المساجد شرع شيوخ الشعبة الإصلاحية في تأسيس النوادي الثقافية، والتي كانت ملتقى فئات من الشباب للتعارف، وتبادل المعلومات ورفع مستواهم الفكري والثقافي والأخلاقي، ووضع خطة ناجعة بغية التصدي للمستعمر، ويتألف مقر النادي من مكتب وقاعة للاجتماعات والمحاضرات وتقديم روايات ومكتبة، ومن هذه النوادي نذكر:

في تبسة: (جمعية الأوتار: تأسست سنة ١٩٣٧ وهي جمعية موسيقية، متعاطفة مع العلماء- نادي الشبان المسلمين: تأسس سنة ١٩٣٠ أشرف عليه الشيخ العربي التبسي). (٢٢)

في باتنة: (نادي الإصلاح تأسس سنة ١٩٣٣، وقد حاضر فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس).

نوادي ناحية آريس: (نادي حيدوس - نادي أم الرخاء - نادي النوادر - نادي أولاد عزوز - نادي آريس - نادي منعة - نادي تفلفال).

كان للحركة الإصلاحية فضل كبير، وأثر بارز على مستوى الشعب بالأوراس فقد كانت واضحة من خلال الالتفاف الكبير حول الحركة وتأييدها ومساندتها الكاملة، ودفع أبنائه إلى تلقي التعليم من غير تحفظ وتهذيب السلوك، والقضاء على كثير من مظاهر التنازع والخرافات والخصومات في الأوساط الشعبية، وانصياعه لتوجهات رجال الإصلاح وإزالة مظاهر البدع والفساد، وقد أمدها بدعم مادي في فتح الكتاتيب القرآنية وبناء المساجد وتشييد المدارس، وإيواء طلبة العلم وتجسيد التوجيه الديني في الممارسة اليومية.

الشيخ عمر دردور

كان من أعلام الحركة الإصلاحية في منطقة الأوراس الشيخ عمر دردور، المولود بقرية حيدوسة بوادي عبدي في ١٣ أكتوبر ١٩١٣، درس في الكتاتيب وعمره ست سنوات وحفظ القرآن بمسقط رأسه على يد معلمه الأول الشيخ محمد دردور، ثم توجه إلى زاوية الشيخ على بن عمر بطولقة حيث تعلم على يد مشايخها مختلف العلوم لاسيما الدينية منها، في سنة ١٩٣٦ توجه إلى قسنطينة حيث درس ووسع من علمه على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس بجامع الأخضر، وواضب على الدراسة بها إلى حتى سنة ١٩٣٧، حيث كلفه الشيخ عبد الحميد بعدها في بتقديم الدروس على الطلبة في الشيخ عبد الحميد بعدها في بتقديم الدروس على الطلبة في مسجدى سيدى قموش وسيدى بومعزة.

في سنة ١٩٣٦ أسس رفقة جماعة من الطلبة الأوراسيين والعلماء الشعبة الأوراسية لجمعية العلماء المسلمين، وقد قام هو وزملاءه بنشاط هام في مجال التربية والتعليم والتكوين السياسي، مما دفع الإدارة الاستعمارية المحلية لمراقبة نشاطهم التعليمي والتثقيفي، وهدفوا إلى توقيف نشاط الحركة الإصلاحية والانتقام من مؤسسها وغلق المدارس لأن فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية كان ولا يزال في نظر الفرنسيين أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر، (١٣٣) ولذلك كونت ملفًا من الشهادات مزورة نسبت إلى الشيخ عمر دردور، الذي ألقت عليه القبض بتاريخ ١٩ أكتوبر الشيخ عمر دردور، الذي ألقت عليه القبض بتاريخ ١٩ أكتوبر شهدت المحاكم مناظر مخجلة يساق فيها معلم العربية في مركب اللصوص والقتلة والمجرمين لمحاكمتهم على صعيد واحد »، (٢١)

- القيام بحملة دعائية ضد فرنسا أثناء الاجتماعات الرسمية والمهرجانات.
 - تحريض الشعب على العصيان والدعوة إلى عدم تنفيذ الأوامر.
- عدم الخضوع للسلطة المحلية وشتم أعوان الحكومة الفرنسية في اجتماعات عامة.

وفي خضم تحقيق الجاري في شخصه وقعت مظاهرات شعبية بمدينة باتنة، خصوصًا في الشوارع المحيطة بالسجن وقصر العدالة، فصدر حكم عليه بأربعة أشهر سجن وغرامة مالية، ورغم معاناته في السجن إلى أنه واصل نشاطه في إطار الشعبة الأوراسية



وإلقاء الدروس على الطلبة بقسنطينة حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، (٢٥) بفضل عمليات التثقيف والتوعية التي انبثقت من مراكز الحركة الإصلاحية فإن الوعي أصبح جليًا من خلال تنمية الشعور الديني، وإلهام الحس الوطني وتأثيره على المواطنين، وذلك من حيث ممارساتهم اليومية في الواقع المعيش، ومنه شعرت الإدارة المحلية للاستعمار الفرنسي وأعوانه بهذه التحولات ومظاهر الاشمئزاز والكراهية التي كان يبديها الناس لهم، الشيء الذي جعلهم يحيكون مؤامرات واسعة لمحاصرة نشاط حركة الإصلاح، بكل الوسائل وتدبير المكائد لها بجميع الأساليب لرجالها للانقضاض عليهم.

الإجراءات الردعية

منذ نشأة الحركة الإصلاحية في آريس ونواحيها، كان الحاكم الفرنسي يقوم بعدة مؤامرات واستفزازات ضدها ومتابعة نشاطها، وبعد فشله في أساليب مع أعوانه التجأ إلى أسلوب العنف والتصفية الجسدية منها:

- اضطهاد الشيخ المكي بن تازرولت بالدشرة الحمراء عدة مرات، إذ يطلب منه إرغام ابنيه على الاستقالة من جمعية العلماء والجمعية الإصلاحية المحلية، ولكنهما لم يستقلا إذ ذاك.
- الاضطهاد المسلط يوميا على الشيخ المسعود بلعقون وبعض المصلحين بآريس.
- اضطهاد الشيخ عبد الواحد وأعضاء الجمعية بمشونش وحتى تلاميذ المدرسة وأوليائهم.
- تحريض القايد أوراغ عمر على منع الجمعية من فتح النادي بأربس، وهو قايد وادي الأبيض.
 - إغلاق الكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة.
 - منع العلماء من إلقاء دروس الوعظ والإرشاد في المساجد.
 - تسليط عقوبات مالية على المعلمين.
 - تقديم المعلمين إلى المحاكم كمخالفين للقانون.

أمام هذه الإجراءات الردعية ضاعفت الجمعيات والنوادي الثقافية في الأوراس من عملها الجدي، بكل حزم وثبات في المدارس والنوادي والتجنيد في الحركة الإصلاحية. وترسخ العمل الإصلاحي والثقافي في نفوس العلماء، الذين عكفوا برسالة النهوض بالجزائر التي بدأت تشهد صحوة لم تعرفها منذ زمن، فأيقظت الجزائريين من السبات ودفعت الأمة إلى حفظ تراثها من المسخ والتحريف، (٢٦) كل هذا بتنظيمات ووسائل جندتها لنشر فكرتها من مدارس، وصحافة، ونوادي ثقافية ومساجد، (٢٦) وكان أهم ميدان ركزت جمعية العلماء عليه جهودها هو ميدان التربية والتعليم، كونه وسيلة تثقيف وتوعية دينية ووطنية في جميع الفئات صغارًا وكبارًا وكبارًا وذكورًا. (٨٦)

نشاط علماء الإصلاح السياسي

لم يقتصر عمل علماء الإصلاح الأوراسيين على الميدان الديني والثقافي فقط على غرار العلماء الآخرين في باقي الجزائر، بل توصلوا بسرعة إلى تغيير نشاطهم لينصب على التوجيه السياسي والديني،

وذلك لأسباب مرتبطة بالعمل الروحي والديني في الإسلام ووفقا لمسعى واحد، قام العلماء الإصلاحيون بعمل ميداني قصد التأثير على المواطنين بتوعيتهم سياسيًا، وقد انصبت خطهم ودروسهم على الحياة الاجتماعية والإدارية وعلى الظروف القاسية التي يعيش فها سكان الأوراس، والظلم القاسى الذي يرتكبه ممثلو الإدارة المحلية والحقوق التي يجب المطالبة بها من السلطة الاستعمارية، وهذا النص الذي عثر عليه دليلاً على إسهامهم السياسي، جاء فيه: "يا شعب الأوراس نحن نكلمك باسم الأخوة الدينية والوطنية، ونرجو منك الانتباه إلى ما يجري بالأوراس. هناك أناس يبحثون عن غرس الحقد بينكم والشقاق والتفرقة والعدوان بينما يجمعكم دين واحد ولغة واحدة وآمال وخيبات متماثلة. لا تكونوا مغفلين أمام كلام بعض الأشخاص ذوي النيات السيئة - أعوان الإدارة الاستعمارية - الذين يرغبون في بقائكم كالبقر الحلوب وكفريسة سهلة أو ككرة بين أيدي المستغلين الذين يبحثون عن استغلالكم وتدميركم وفقركم. إن جبالكم غنية وسطح أراضيكم جذب وأنتم فقراء وأن أبناءكم يعانون من الحرمان والذئاب تتقاسم ثمرة أعمالكم، هل تقبلون دون احتجاج كل هذه القيود ؟ لا. لقد تبينتم نتائج أعمالكم، وقدرتم قيمة الكنوز التي فقدتموها، وقد بلغتم اليقظة فاستيقظوا. نحن نثبت لكم الاستقامة عندما نراكم تساندون العلماء والمنتخبين الأحرار والداعين لمبادئ العدالة والإخوة المقدسة لدى الإنسان. لا تنسوا بأنكم أمة عربية مسلمة. يا سكان الأوراس الأحرار الكرماء قوموا للعمل واقضوا على كل ما يفرق وحدتكم. يا سكان الأوراس المتمسكين بدينكم الإسلامي انهضوا واستيقظوا لاسترجاع مجدكم". (۲۹)

خلال سنة ١٩٣٧ وفي الوقت الذي كانت تنتشر فيه عبر الجزائر الحركات التي نعرفها، حدثت إثارة شديدة بالأوراس التي أدت إلى التخوف حتى بالنسبة للمحافظة على النظام العام والتي كان سبها عمل العلماء المصلحين هناك مذكرة ب:" Nationales d'Outre – "Nationales d'Outre"، في تقرير وضع تحت عنوان تقدم الحركة الإصلاحية في منطقة الأوراس، جاء فها: "لقد زاول أربعة أوراسيين، أبناء المرابطين، دراستهم بجامع الأخضر بقسنطينة، تحت إشراف الشيخ عبد الحميد بن باديس، كان هؤلاء التلاميذ الأربعة أعضاء في اللجنة المديرة للشعبة الأوراسية للعلماء المؤسسة في أوت سنة في اللجنة المديرة يمثلون عائلات مرابطية هامة مناصرة للزوايا الرحمانية لتبرمسين وتلميذ آخر من قربة غوف".

وهناك تقرير آخر خاص بمنطقة آريس المؤرخ في ٩ أوت ١٩٣٧ تحت رقم/ ٢٩ تقرير هام لحاكم حوز آريس المؤرخ في ١٣ سبتمبر ١٩٣٧، يحتوي على الظروف التي تكونت فيها الشعبة الأوراسية ومعلومات عن أعضائها وسلوكهم.



خانهة

واستمرت المجابهات بين الطرفين تزداد حتى قامت ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، التي مثلت أوج الصراع الثقافي والحضاري بين الجزائر وفرنسا، والهادفة إلى استعادة الشخصية المسلوبة في قيمها وذاتيتها، فكان العمل الثقافي يساير الكفاح المسلح، وسار جنبًا إلى جنب، حيث انتشر التعليم وعملية محو الأمية، ورغم الأوضاع القاسية فإن جهة التحرير الوطني لم ينسها الاهتمام العسكري العناية بالتعليم داخليًا وخارجيًا، فقد تكفلت بتعليم أبناء القرى والمداشر بإنشاء مدارس التعليم العربي، جاعلة إياها معاقل للكفاح تتصدى لسياسة فرنسا ومحاولتها احتواء الثورة الجزائرية. ومن خلال ما سبق ذكره نستخلص استمرار المقاومة الجزائرية التي تعددت أنماطها والهدف واحد هو صد المشروع الاستعماري، فكان الأوراسيون أكثر عنادًا، وأصلبهم عودًا وأشدهم تمسكًا بشخصيتهم التاريخية العربيقة.

الهوامش:

- (۱) ناصر الدين سعيدوني: التوجه المعادي للعربية والإسلام في السياسة الفرنسية في الجزائر (۱۸۳۰ ۱۹۹۲م)، مجلة التاريخ العربي؛ ع ٣٢، الرباط. ص ٩٩.
- (۲) محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة،
 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:۱۹۷۳، ص .۱۵۳.
 - (٣) المصدر نفسه، ص ١٥٤.١٥٣.
- (4)Turin Yvonne: Affrontement culturel l'Algérie coloniale (école, médecines, religions),1830 1900, E.N.A.L, deuxième édition, Alger .p.35.
- (٥) ايفون تورين: الأشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر إبان القرن ١٩، الملتقى السادس للفكر الإسلامي، م١، الجزائر ١٩٧٢، صـ٢٥٣.
- (٦) جمعية أول نوفمبر: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي (١٨٣٧- ١٩٥٤)، دار الشهاب باتنة، الجزائر، ١٩٨٠. ص ٢٧١.
- (7) Turin Yvonne :P.218.

(٨) عبد العزيز شبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في العزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، ص ١٢٩ - ١٣٣.

- (٩) المرجع نفسه، ص١٠١ -١٠٣.
- (۱۰) محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون تاريخ، ج ٢، ص ١٤، ١٤.
- (۱۱) تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي (١٨٣٧-١٩٥٤). ص ٢٤٣.
- (12) Turin Yvonne: Op-cit. P \ Y Y.
- (۱۳) عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ۱۹۳۱- ۱۹٤٥، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ۱۹۸۱، ص ۷۲.
- (14)Fanny Colonna: Les Instituteurs Algériens (1883-1939).O.P.U. Alger: 1975, P.27.28.
- (١٥) محمد الطيب العلوي: التربية بين الأصالة والتغريب، منشورات دحلب، الجزائر: دون تاريخ، ص ٢.
- (۱٦) الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (١٩٠٠-١٩٣٠) دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، أطرحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف، جامعة قسنطينة، ٢٠٠٢ ٢٠٠٣، ص.١٧٩.
- (۱۷) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج٣، در الغرب الإسلامي بيروت: ١٩٩٨. ص ٢٤٢.
 - (١٨) محمد الطيب العلوي: المرجع السابق، ص. ١٢٠.
- (١٩) محمود الواعي: المجابهة الثقافية، في تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من ١٨٣٧ ١٩٥٤. ص ١٩٦٨.
- (۲۰) جمعیة العلماء المسلمین الجزائرین: جریدة البصائر، ع. ۲۸۳، ۲۸۳ ۲۸۵، ۲۸۵، بتاریخ ۳۰، ۱۹۰۵ سبتمبر ۱۹۰۵.
 - (٢١) جريدة البصائر، ع. ٣٢٩، ٢٩ جويلية ١٩٥٥.
- (۲۲)عمار هلال: أبحاث في تاريخ الجزائر المعاصر ۱۸۳۰-۱۹۹۲، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: ۱۹۹۵، ص ۲۷۳، ۲۷۰.
- (۲۳) فضيل الورثيلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، ۱۹۹۲، ص.۹۰.
 - (٢٤) المرجع نفسه، ص.٩٠.
- (٢٥) الشيخ الواعي محمود: حياة الشيخ عمر دردور ونضاله قبل الثورة المسلحة، تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من ١٨٣٧ ١٩٥٤. ص ٢٦١، ٢٦١.
- (٢٦) محمد الصالح رمضان: "جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي"، مجلة الثقافة، ع٨٥ الممتاز، الجزائر: ١٩٨٤. ص.٣٥٩.
 - (٢٧) عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص ١٢٥.
 - (٢٨) محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص ٣٦٤ ٣٦٧.
- (۲۹) نص منشور في كتاب: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من ۱۸۳۷ ۱۹۵٤. ص ۲۷۳، ۲۷۲.